

توظيف الآثار والتراث في المنجز الروائي الجزائري المعاصر
رواية "عين حمورابي" لعبد اللطيف ولد عبد الله -نموذجا -
*The employment of the ruins and heritage in the
contemporary Algerian works*
The novel "Ain Hammurabi" of Abd al Latif Weld
Abdallah as a model

ط.د عبد القادر حمادي *

د. محجوب علي *

تاريخ النشر: 2024/12/20	تاريخ القبول: 2024/04/30	تاريخ الإرسال: 2023/06/26
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تعد الرواية الجنس الأدبي الأكثر انفتاحا على الأجناس الأدبية الأخرى، وكذلك الحال ذاته مع العلوم الإنسانية، مما جعلها الأكثر رواجاً بين مثيلاتها في عالم السرد، خاصة في العصر الحديث، من خلال هذه الدراسة سأتطرق وأعرض على مدى توظيف الآثار وكذلك توظيف التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة، متخذاً من رواية "عين حمورابي" أنموذجاً ومدونة للدراسة، وذلك لحل إشكالية تمثلت فيما يلي: كيف تم توظيف الآثار وتوظيف التراث بين سعة خيال الكاتب وحقائق التاريخ والواقع؟

الكلمات المفتاحية: الآثار_التراث _الخيال_ التاريخ_ عين حمورابي _ عبد اللطيف ولد عبد الله.

*مخبر الدراسات الأدبية والنقدية - جامعة علي لونيسي البليدة 2 -

ea.hammadi@univ-blida2.dz

* مخبر الدراسات الأدبية والنقدية - جامعة علي لونيسي البليدة 2 -

a.mahdjoub@univ-blida2.dz

Abstract:

The novel is the genre that opens the most on the other literary genres. The same applies to the human sciences, what made it the most common genre in the narration world, mainly in the modern era. Through this study, I shall tackle the employment of the ruins and the heritage in the contemporary Algerian novel, taking the novel "Ain Hammurabi" of Abd al Latif Weld Abdallah as a model to answer the problematic that says, " how were the ruins and the heritage employed between the wide imagination of the author and the real historical facts?"

Key words: ruins; heritage; imagination; history; Ain Hammurabi; Abd al Latif Weld Abdallah

*** **

المؤلف المرسل: عبد القادر حمادي ea.ammadi@univ-blida2.dz

مقدمة:

الرّواية الجزائرية كغيرها من الرّوايات العربية، أصبحت حقلا معرفيا لا يستهان به، وشكلت أرضية خصبة للباحثين والأدباء والنّقاد، وذلك حين تطبيق المناهج الحديثة وتوافقها مع الدّراسات المعاصرة.

لقد اخترت رواية "عين حمورابي" لعبد اللطيف ولد عبد الله أنموذجا للدراسة، وهذا كونها تُشكل فسيفساء سردية، مزجت بين الرّواية البوليسية والتّاريخية، لم تخلو من مؤشرات العجائبية والشّبقية، إلا أنّ هناك الكثير من المواضيع التي برزت في نصّها السّردية، كالعنف والحب والصّوفية والأنا المحلية والآخر الغربي.

كذلك الآثار كعلم واختصاص والتّراث كموروث وحقيقة ملموسة، لم يكنّا بمنأى عن هذا المنجز الرّوائي، وهما بين التّخصصات في العلوم الإنسانية. لم تبق الأمور على حالها، بل كان لما سلف ذكره الحضور في عالم السّرديات، خاصة مع النّصوص الروائية، إذ أنّها كانت حاضرة طيلة تسلسل أحداث الرواية، ولم تؤثر على القيم الجمالية للنص الرّوائي، بل ساهمت في إعطاء ملمح عن أماكن وقوع بعض الأحداث.

الرواية تشع بالمروروث المحلي الجزائري، ويتجلى ذلك في غلافها والمتمثل في صورة للضريح، أما قارؤها فمن الوهلة الأولى يكتشف هذا التراث وكذلك الآثار القديمة التي يتم اكتشافها من طرف أفراد البعثة، حتى العنوان الذي يحمل اسم مُشرع لحضارة قديمة في بلاد الرافدين "حمورابي" يُوحى بأنّ هناك كنز تراثي وتاريخي تخبئه الرواية بين دفتيها.

من خلال هذه الدراسة ومن الخطوات المتبعة، أريد الإجابة عن الإشكالية المطروحة، المتمثلة فيما يلي: هل أصبحت الرواية ومن خلال رواجها ميدانا منفتحاً على العلوم الإنسانية كالآثار وكذلك التراث؟

أو بعبارة أخرى: ما مدى توظيف وحضور الآثار والتراث في المنجز الروائي الجزائري المعاصر، بين سعة خيال الروائي، وحقائق التاريخ والواقع؟ وللإجابة على هذه الإشكالية اخترت بعض الخطوات التي ستأتي تباعاً.

1. الآثار والتراث بين لغة المعاجم واصطلاحية المفاهيم:

1.1 الآثار لغة واصطلاحاً:

الآثار لغة هي: ما بقي من رسم الشيء... (علم الآثار) عند المسلمين كعلم التقليد عند المسيحيين، (وعلم الآثار) مطلقاً هو معرفة بقايا القوم من أبنية وتماثيل ومحنطات وما شاكل¹، ويمكن القول: الأثري: خاص بالآثار، يتعلق بالآثار: 'حفريات أثرية' قديم العهد، عائد إلى شيء قديم: 'خريطة أثرية' وعالم الآثار، من يهتم بالآثار ويدرسها².

ويمكن تعريف الآثار أو ما يتعلق بالأثري: "الأثري من الأشياء هو القديم الماثور الباحث في الآثار"³.

أما في الاصطلاح: فقد اخترنا تعريف الدكتور عبد المالك سلاطينية: "تعد الآثار أحد أبرز المصادر التي يمكن الرجوع إليها لدراسة أي حضارة في العالم، وبصفة عامة، فإن المخلفات الإنسانية كانت قد تركت بصماتها ماثلة، في الآثار المتبقية عبر سلسلة طويلة من الحضارات التي عرفتها البشرية على مر الأزمنة الغابرة"⁴.

2.1 التراث لغة واصطلاحاً:

التراث لغة: التراث هو الإرث، قال تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ سورة الفجر الآية 519.

أما في الجانب الاصطلاحي: فهناك عدة تعريفات يمكن أن نقف على بعضها، على سبيل المثال لا الحصر، تعريف الدكتور حسن حنفي في قوله: "التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي، داخل الحضارة السائدة فهو قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات"⁶.

3.1 أشكال الآثار والتراث في رواية "عين حمورابي":

الرواية غنية بكل أشكال الآثار والتراث، حيث تعددت صور هذا الموروث داخل المنجز الزواني "عين حمورابي".

أ- الآثار في رواية "عين حمورابي":

الآثار واضحة متجلية بدءاً من العنوان الذي حمل شخصية تاريخية ألا وهي "حمورابي" ومن خلال الآثار التي تركها في التشريع ظل اسمه خالداً حتى اليوم، وهذا بالرغم من قدم عهده ومع ذلك "حمورابي ترك وراءه أطول وأهم مجموعة قوانين في الشرق الأدنى القديم فإنه لم يكن أول مشرع، وبرغم أن مراسلاته الغزيرة والمتعددة تكشف قدرته كإداري"⁷.

أما قارئ الرواية والمتتبع للآثار كمصطلح أو لشكل من أشكال الآثار فإنه يظهر من الصفحات الأولى، ومع بدايات التحقيق "وهو مكلف من أعلى السلطات باسترجاع الآثار المسروقة من الموقع الأثري"⁸، وهنا إشارة واضحة إلى أهمية الآثار والقطع الأثرية، وتخصيص رجل مرافق لرجل الأمن المكلف بالتحقيق، أما الصفحة الموالية فيرد ذكر الآثار "في الوصول إلى الموقع الذي خبئت فيه الآثار"⁹.

وقد ركز الزواني على تناول موضوع الآثار بدءاً من الحفريات، حيث أن الاهتمام المتزايد بالحفريات ودلالاتها التاريخية والتطورية أدى إلى ظهور علم الحفريات الذي يمكن الإنسان من دراسة تاريخ الأرض وتطورات الحياة عليها عبر العصور"¹⁰.

أشار وحيد حمّراس إلى أنّ صديقه دونالد هاردي أخبره " أنهم عثروا على كوب ذهبي له عرى تعلوها هيئة سمكة وسكين برونزي عليه رسوم الصّيد ترجع إلى ما قبل الميلاد " ¹¹، ومن هنا الإشارة إلى أن هناك بعض المستجدات التي تم اكتشافها، وربما تعود إلى الحضارات القديمة مثل الرومانية " ويقول بعض المؤرخين إنّ حضارة الرّومان بالجزائر كانت شبيهة بحضارة مدينة رومة نفسها، وهم يستدلون على ذلك بأنّه كان في زمن الإمبراطور طريانس (98 ق م – 17 م) كل من يقع عليه الحكم بالنفي من رومة يمنع من الحلول بإفريقيا وذلك لما بين المواطنين من المشابهة في الحياة والرفاهية والاعتبار " ¹²، ويقصد برومة عاصمة الإمبراطورية الرومانية ' روما'، وذلك لأنّ الحضائر الرومانية كانت منتشرة بالغرب الجزائري من وهران إلى تيارت وجبال الونشريس وغيرها من مناطق الجزائر، وقد ظهرت عظمة هذه المدن من خلال آثارهم، وهي " آثار الدّولة من المباني وغيرها، وأنها تكون على نسبتها، وذلك أن تشييد المدن إنّما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم، وتعاونهم، فإذا كانت الدّولة عظيمة متسعة الممالك، حشر الفعلة من أقطارها " ¹³.

وقد ظهرت مؤشرات المدن الرومانية الأثرية في الرواية في قوله: " نحن الآن على وشك اكتشاف أعماق هذه الأرض حيث تختبئ مدينة يصل عمرها إلى ستة آلاف سنة تقريبا، هنا المتوقع أن يكون القصر عظيما " ¹⁴.

وقد أراد أنّ يُشير إلى أنّ " المدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة " ¹⁵.

بعد عمليات الحفر والتنقيب التي هي " بقايا أو آثار متصلة لحيوانات ونباتات هلكت أو بادت ودفنت في طبقات الأرض في أزمنة غابرة " ¹⁶، وقد ورد ذكر الحيوانات في الرواية: " كان المصور يتمايل وينحني مركزا على تفاصيل رسم آخر لحيوان غريب يشبه الفهد في الشكل وله رأس طائر " ¹⁷، وربما يكون هذا القصر ضمن ما تركته الحضارة الرومانية حيث " أضاف الرومان منطقة نوميديّة الغربيّة، عمالة الجزائر ووهران إلى الملك لوكوس " ¹⁸، كذلك ورد ذكر رقم مهم عند علماء الآثار والتنقيب، وهو 1.618 و"يسمى العدد 1.618 بالرقم الذهبي، وله قيمة كبرى في عالم الجمال والفن، هو دليل

على تناسق الأشياء وجمالها، استعمله الإغريق في منحوتاتهم وبنائياتهم، لكن مصدره ظل سرا مغلقا رغم اكتشاف قدرته العجيبة¹⁹.

كما إنّ الإشارة إلى الهيروغليفية وهو " منسوب إلى الكتابة الجدارية المصرية القديمة – حروف هيروغليفية- "²⁰، حيث ورد عند الروائي قوله: " وتمكنوا من نسخ النصوص التي صفت على الألواح، كانت على شكل مربع من أربعة أسطر إلى تسعة، عليها كتابة تصويرية غريبة، هي نوع من الهيروغليفية البدائية"²¹، وهنا تظهر مراوغات الروائي بحيث يريد الإشارة إلى أنّ هناك شيء مشترك بين الحضارة الرومانية والحضارة الفرعونية، لكن يعود ليضبط الأمر إنّّه يتعلق بمستشرق غربي ألماني " هاينريش فون مالتسان" عاش بعض من حياته كمستشرق ورحالة في شمال غرب إفريقيا، وكانت له بعض المؤلفات " ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا" و"مدخنو الحشيش في الجزائر" و" رحلة حجي مكة"، والذي " كان شاعرا بالإضافة إلى كونه رحالة " ²².

وهذا ما تم معرفته كذلك من خلال الاطلاع على نسخة من الأجزاء الثلاثة لكتاب هاينريش فون مالتسان " ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا"، من ترجمة الدكتور أبو العيد دودو.

حيث أراد بطل الرواية وحيد حمرا س أنّ يتم ما قام به الرحالة هو وصديقه، و ورد ذلك في " علينا أن ننهي حلم الرحالة هاينريش فون مالتسان ودوسوس لامار وغيرهما

ممن كرسوا حيواتهم في التنقيب عن الآثار، لقد تمكن دوسوس من العثور على لوح حجري يشير إلى مدينة مفقودة، كان ذلك اكتشاف مدينة تاهرت "²³.

كما أنّ عملية التنقيب والبحث عن الآثار كشفت " أنّ هناك مقبرة ملكية بالنظر إلى قلة عددها، استخرج العمال من تلك السّراديب أواني فخارية استعملت في طقوس دينية معينة، فهي تملئ بالدماء وتراق على الميت أو على الأرض أو في حوض للتقرب من الآلهة "²⁴، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ " الرومان يومئذ على دين الصّائبة يعبدون الأوثان والتّمائيل التي توضع للظواهر العلوية والأجرام السماوية"²⁵.

كما أن المخطوط كان حاضرا في الرواية والذي يعتبر مهما بالنسبة للرحالة الغربيين حيث أن " الرحالة الغربيين عموما يبحث المؤلف عن الآثار الرومانية، فوجودها في نظرهم يعطي الغرب الحق في الاستحواذ على بلد كبلدنا "26، وقد ورد المخطوط في الرواية " أشار هاينريش فون مالتيان في مذكراته إلى أنه ترك في هذا المكان مخطوطا يشير إلى موقع الكنز "27.

كما أنه أشار إلى عملية الدفن " في شمال إفريقيا اتخذ بعض الملوك من المنزل قبرا ومنهم من أحرق الجثة كالرومان في بداية قيام إمبراطوريتهم، لا أدري تحديدا كيف كان الدفن قبل ستة آلاف سنة، فقد تعددت الطقوس "28، لقد كانت إشارات الروائي إلى الحضارة الرومانية واضحة جلية، أما نهايات الرواية فقد تنقل بنا الراوي إلى عالم آخر بعيدا عن عالم التنقيب والحفر، إنه عالم الكهوف وما وُجد بها من آثار تُبين حركية الإنسان في قرون سالفة وتجلي ذلك في قوله : " هذا الكهف مكان عبادة، لا يكون الدخول إليه إلا في حالات استثنائية من طرف الشامان "29، والشامان " أول الكهنة في هذا العالم "30.

تطرق الروائي لعالم الكهوف كان واردا في المنجز الروائي وذلك على أن هذا الكهف، ما هو إلا امتداد لمغارة ' غار الضبع ' التي اختبأ فيها الرحالة الألماني هاينريش " فخطرت لي أن هاينريش فون مالتيان قضى فترة اختباره كلها في غار الضبع، كما تشير إلى ذلك مذكراته "31، وفي هذا الكهف وجد " لوحة فنية مزدهرة بالألوان والحركة والرموز وحيوانات ذات شكل غريب، متوحشة، قطيع من الغزلان والجواميس "32، كما أنه وجد في الكهف عدة رسومات لحيوانات قد انقرضت " اختفت حيوانات الكسلان الأرضية والجليبودون والماموث والمستدون والنمر السيفي النّاب، والدّئاب البشعة "33، إن هذه الأشياء الأثرية رغم حقيقة تواجدها إلا أن الروائي أبدع في التوصل إلى الإحاطة بها بواسطة لغة سردية اتسمت بالتشويق، جعلت من النصّ يتماسك بدل الشّتات وهو ينقل إلينا حقائق من الآثار لكن هناك مبالغاة عدة خاصة عندما يتكلم عن الصور الموجودة في الكهف، ويدقق في تفاصيل متعلقة بالآثار.

ب. التّراث في رواية "عين حمورابي":

التّراث هو الآخر حاضر في الرّواية بدءاً من صورة الغلاف والتي تُوحى بصورة لضريح وكذلك المكان الذي دارت فيه أحداث الرّواية والممثل في القريتين المتجاورتين، حيث يوجد في كل قرية ضريح لولي صالح، سميت كل قرية باسم وليّها، أو بالأحرى دوارين، دوار سيدي المجدوب ودوار سيدي الحراق، إذ أنّ "الضّريح (ج) ضرائح، وأضرحة: قبر، جدث، رمس: ضريح من الرّخام"³⁴، وأشار إلى ذلك في الرّواية "دفن سيدي المجدوب في قمة جبل آمجر، ودفن سيدي الحراق في قمة جبل تاهرغت، هكذا أصبح لكل دوار وليه الصالح"³⁵.

كما أنّ الرّوائي أشار إلى حالة مزرية يعيشها أناس سيدي المجدوب حيث أنّ "هناك وضعا دينيا واجتماعيا واقتصاديا سيئا وغير متوازن، لا يخدم مصالح السّكان الأهالي"³⁶.

كان لهذه الأضرحة صدها ومكانتها عند النّاس حيث هناك "الزّيارة لأضرحة وهي مرفوقة بالعطاءات من دراهم وغيرها"³⁷، وقد ظهرت شخصية الحمداوي الذي لعب دور المرباط، الطالب والعراف، وقد تجلّى ذلك حينما ورد: "كان الحمداوي يجلس على جلد من صوف الماعز... ثم بدأ يتمتم كأنّه يقرأ آيات من القرآن، عندما انتهى كل ذلك التّمثيل تناول الحمداوي قارورة صغيرة من بين المئات"³⁸، وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أنّه "قد بدأت تظهر أشكال مختلفة من القباب والأضرحة والخلوات والزّوايا والأحجار التي تُقام وتُنصب إيماناً به"³⁹.

كذلك الفكر الصّوفي والذي يُعتبر شكلاً من أشكال التّراث الجزائري، بمقوماته ومدلولاته "تخيلت خديم الولي وهو يرى القبر مخرباً، حاولت أثناء ذلك تخيل حجم الرّعب والدمار الذي سيحل بالأهالي"⁴⁰.

فلربما يمكن القول أنّه "ولما أقبل النّاس على التّرف في الدّنيا، اختص الذين تمسكوا بالعبادة باسم الصّوفية، فالنّصوف عند ابن خلدون إذن، عبادة ومجاهدة للنفس ومحاولة لإدراك الحقيقة"⁴¹.

كذلك الوعدة هي الأخرى لم تكن غائبة عن هذا المنتج الروائي، حيث أن
"الوعدة

من مصطلحاتهم أيضا، هي الوعد بفعل الشيء، إذا حدث كذا، فهي كالنذر، ولكن
في مصطلحات بعض الطرق فالوعدة عبارة عن زيارة لضريح الشيخ⁴²، وقد ورد ذكر
الوعدة في المنجز الروائي "الوعدة؟ انه احتفال سنوي يقام تخليدا لذكر الولي الصالح
43"

وهناك من يعرف هذا بأنه الطعم أو الوعدة " وهما مصطلحان يُطلقان على
ولائم كبرى تقام على أضرحة الأجداد من الأولياء الصالحين من قبل منهم أحفادهم، في
شكل احتفالي ضخم⁴⁴.

هناك الكثير من التراث في هذا المنجز الروائي والذي تطرقنا له في مجمله من
أضرحة ووعيدات وطقوس صوفية، لكن الجدير بالذكر أن مكان تواجد الجبلين
والضريحين كانا من نسج خيال الروائي، الذي أمتعنا بخلق مكان هو أقرب إلى الحقيقة
منه إلى الخيال، رغم أن النص الروائي به حقيقة وهي وجود الرحالة الألماني هانريش
فون مالتسان في المنطقة انطلاقا من مراكش المغربية، إلا أن الأماكن التي دارت فيها
أحداث الرواية ربما كانت من حسن صنيع خيال الروائي "علي أن أخبرك أنك حكاة
ماهر⁴⁵.

والقارئ للرواية والمتتبع لأحداثها يكتشف أن هناك توأمة بين الحقيقة والخيال
"أنت أصلا لا تفرق بين الحقيقة والوهم، يبدو أن خيالك الجامع جعلك تعتقد أن كل
ما توهمته، وأردت منا تصديقه معك⁴⁶، ومع تقصي حقيقة الأماكن، يتضح أنه لا
يوجد إلا بعض الأسماء المشابهة لكنها لمدن ساحلية، أما في الرواية فلا وجود لذكر البحر
إطلاقا مما يستبعد فرضية حقيقة الأماكن.

2. شظايا السرد وشخص الأثر والتراث:

1.2 شظايا السرد:

تناثرت أحداث الرواية وتعددت الأماكن التي دارت فيها الأحداث، من ألمانيا إلى دوار سيدي المجدوب إلى مكتب التحقيق، وتوالى الأحداث وتراكمت التواريخ، وارتطم السرد بعضه بعضاً، حتى أن القارئ تتشتت أفكاره بمجرد الولوج إلى إحدى فصول الرواية المتعددة، أي أن هناك "تولد بنيات جديدة على مستوى تشكيل النص القصصي، أقلها تكسير عمودية السرد التقليدي الذي كان يتعامل مع لغة تبدو محنطة لا تسمح له ببسط ظلاله كما يشاء، وبالتالي فالتفاعل بين اللغة الجديدة والسرد يظهر قويا"⁴⁷، أي أن السرد ابتعد بعض الشيء عن معهوده والمتمثل في "تجميع بسيط لا قيمة فيه للأحداث، وفي مثل هذه الحالة لا يمكننا الحديث عن السرد إلا بالاحتكام إلى عبقرية المؤلف أو الحاكي"⁴⁸.

وقد يكون هذا ملمحاً وسمة لما يُعرف بشعرية اللغة السردية، والتي تختلف واللغة العادية المتداولة.

كذلك الأسطورة حاضرة في هذا النص الروائي، حيث أن الأسطورة تُعد كذلك من بين الموروثات الشعبية وتدخل ضمن التراث العالمي، وهي مذكورة في القرآن الكريم في عدة مواضع، نذكر منها قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ سورة الفرقان الآية 05.

والأسطورة كما هو معروف في اللغة على أنها "الحكاية التي ليس لها أصل واقعي (ج) أساطير"⁴⁹.

ورد ذكر الأسطورة عند المصريين وهي أسطورة ايزيس والتي هي "أسطورة مصرية تذكر أن سيث قتل أخاه أوزيريس وقطع جثته إلى أجزاء ثم وزعها في أرجاء المعمورة، وحين بلغ ايزيس ما حصل لإوزيريس انطلقت لتبحث عن أجزاء جسمه المتفرقة في العالم لإعادة تركيبها من جديد وإعادة الحياة إليه"⁵⁰.

كذلك كان لسرد بعض الأماكن عدم تقبل حقيقة المكان، لأنه في واقعه لا أساس له من الصحة، حيث ورد قوله وأقصد الراوي: "شيد فيلاج سيدي ياسر من طرف الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1899م وجعلها قاعدة لاستخراج البترول الخام، لكن بعد أن نضبت آبارها استغنت الدولة عن الاهتمام بها"⁵¹، فالقارئ لهذا ربما يعجبه الموروث الشعبي المتداول من استعمال الألفاظ الأجنبية، والتي مع مرور الوقت صارت ضمن ملكة اللهجات المحلية الجزائرية، أي أن كلمة (فيلاج) والتي نعني بها قرية، صارت إحدى مكونات اللسان المحلي لأغلب مناطق الوطن، لكن العبث الموجود لربما يكون في صحة المعلومة، حيث أنّ الكل يعلم وكذلك الحقائق التاريخية أن اكتشاف البترول تم سنة 1956م من طرف المستدمر الفرنسي بحاسي مسعود بولاية ورقلة جنوبا.

يمكن القول أن تعدد أوجه الفضاء المكاني للسرد هي التي حققت هذه الجمالية، والتي جعلت من عنصر التشويق هو الطّاعى وخلقت نوعا من التناص حيث أن "التناص قضاء مقدرا على كل نص، لا مناص له منه، ولا ملاذ إلا به، في تقدير النقاد الجدد، ومنهم رولان بارت الذي أعلن صراحة أن التناصية قدر كل نص، مهما كان جنسه، لا تقتصر حتما على قضية المنبع أو التأثير"⁵².

هناك عمل دؤوب يقوم به وحيد حمّراس رفقة صديقه الألماني دونالد هاردي، قد قام به قبلهم الرحالة الألماني هانريش فون مالتسان، وكأن التاريخ يعيد نفسه، وإنّ التناص حاضر بقوة أو بالأحرى كما قال جمال فوغالي: "التناص في أبسط تمظهراته وتجلياته والذي يحقق به النص أدبياته أليس من الجوهر أن النص نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة، إنّ الكاتب لا يمكنه أن يقلد فعلا هو دوما متقدم عليه"⁵³، فالأقتباسات كانت ظاهرة في هذا النص وفي علوم مختلفة أغلبها من العلوم الإنسانية كالتاريخ والآثار والتراث وعلوم الحضارات وغيرها، وتطرق كذلك إلى ملوك في العهود الغابرة بأنهم أيضا كانوا مهتمين بالتنقيب عن الآثار والحفريات ومخلفات الأولين " فهت من حديثها أن الملك (بختنصر) قام بحفريات وترميمات في مدينة (أور) وكذلك فعل بعده الملك (نابونيد) "⁵⁴، وقد عقب على التهميش مشيرا إلى أنّه من أشهر ملوك بابل وربما آخرهم.

المنجز الروائي لم يخلو كذلك من التطريس أو ما يعرف بالأثر حيث أنه " يربط الأثر بمفهوم الغياب، ويغيب الأثر تحت وطأة الحضور؛ ذلك أن الأثر أصلا ليس هو الشيء ولا يجتمع الأثر والشيء معا"⁵⁵، أما وسيلة بوسيس فقد أشارت إلى أن " الأثر التناصي شأنه شأن (التلميح) ينتهي على الأرجح وحسب ريفاتير إلى نسق المجاز المحكم أكثر مما ينتهي إلى نسق العمل الذي يعد في بنيته الكلية حقلا تطرد فيه العلاقات"⁵⁶.

الأثر والتطريس في هذا المنجز الروائي، قد يصنعان الكثير من التساؤلات ويجعلان من النص أكثر انفتاحا، فهناك عدة احتمالات قائمة، فلربما يكون التلميح المقصود به حمورابي الشخصية التي لا أثر لها في النص الروائي، عدا تعاليمها وبروزها في شكل أوضح على العنوان، وبين شخصية الرحالة هانريش، حيث أن كلاهما ترك مخطوطا، فالأول ترك مخطوطا عرف بسرائر حمورابي، وهي قوانين تشريعية تنظيمية أما الثاني فقد ترك مخطوطا يدل على مكان الكنوز.

غابت الأخلاق والقيم عن مجتمع بابل، بقدر ما غابت الكنوز والأشياء الثمينة عن متبعي كنوز الهانيريش، فقوانين حمورابي " قد طمس جزء من قوانين حمورابي في الأزمنة القديمة على يد الملك العيلامي الذي استولى عليها كغنيمة"⁵⁷، أما مخطوط الهانيريش فلم يكن إلا مغالطة وقع فيها أعضاء البعثة التي عملت على البحث عن الآثار والتنقيب " بعد زيارة هانيريش فون مالتسان الفاشلة للموقع رأى أن الوصول إلى هذا المكان عسير، لصعوبة التضاريس وتشابه الجبال"⁵⁸، وكذلك " وبعد أن تم عمله هناك غادر نحو مدينة مراكش، ومن ثم كثرت أسفاره وبقي مشروعه معلقا إلى أن مات منتحرا سنة 1874م"⁵⁹.

أو ربما إن كلا من الحمورابي والحمراس كانت لهم نية الإصلاح في المجتمع، أم أنّ الأثر والتطريس يتمثل في إتمام عمل الرحالة الألماني من طرف وحيد بن الزبير حمراس وكذلك صديقه دونالد هاردي والنص يبقى أكثر انفتاحا، وهنا تتجلى جمالياته وأدبياته.

2.2 شخصيات من عالم الآثار والتراث:

الرواية بها الكثير من الاسماء التاريخية، والتي لها بعدها الجلي في علم الآثار والتراث فقد ذكر الروائي بعضا من الاسماء التي شجعت على الكشف على الآثار والحفريات، وقد أشار إليها في قوله: " لقد تمكن دوسوس من العثور على لوح حجري يشير إلى مدينة مفقودة، كان ذلك من خلال اكتشاف مدينة تاهرت"⁶⁰، وكذلك أشار إلى القدماء والذين اهتموا بالآثار مثل (بختنصر) و(نابونيد) هذا الأخير الذي كان " آخر ملوك بابل، أمر بالتنقيب عن أسس معبد ليكتشف ما بناه من أسلافه، وقد عثر على حجر الأساس الذي نقش عليه اسم (نرام سن) بن (سرجون) الأكادي الذي أمر ببناء ذلك المعبد قبل خمسة وعشرين قرنا من زمن نابونيد"⁶¹.

أ.حمورابي: اسم ساطع في التاريخ والحضارة البابلية، جعله صاحب الرواية الشق الأبرز من العنوان لهذا المنجز، فهو رجل إصلاح وتشريع في عهد البابليين القدماء، وقد سن قوانين " لا تمثل الأوامر الإلهية الصادرة عن الآلهة مباشرة بل قرارات يتخذها الملك في حالات معينة، والحقيقة أن حمورابي يسميها في الخاتمة (قرارات البلاد) "⁶².

لقد كان حال حمورابي هو حال من عاصره، وعاش تلك الفترة مثل " الأكاديون وقد استقروا في واد الرافدين في الألف الرابعة قبل الميلاد"⁶³، فهذه الحضارة التي واکمها جعلته يفكر في الإصلاح وذلك بإنشاء قانون ينظم الحياة العامة لتلك الحضارة.

ب.هاينريش فون مالتسان: تطرق إليه صاحب الرواية في الكثير من فصولها " فهو " HEINRICH VON MALTZAN " (1826- 1874) رحالة ألماني اهتم بحياة الشعوب الشرقية ولاسيما المغرب العربي، زار المغرب والجزائر وتونس كما زار مكة متنكرا في زي حاج، كتب الشعر والنثر ومن بين مؤلفاته (ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا) (مدخنو الحشيش) (رحلة حجي إلى مكة) مات منتحرا"⁶⁴.

لقد تطرق الروائي إلى تعريف هذه الشخصية المهمة في عالم الآثار والمستشرقين والرحالة، حيث أنه كان مهتما بالرحلات والتي هي "في مفهومها المعروف هي حديث عن مجتمع يختلف عن مجتمع الرحالة في العادات والتقاليد وفي النظرة وفي المعتقد

فيجب أن لا يقتصر الحديث عما يجلب المتعة العابرة أو مجرد وصف لمشاهدات بلا معنى أو رمز⁶⁵.

وهذا كان حال هاينريش طيلة تواجده في شمال غرب إفريقيا وكذا شبه الجزيرة العربية، كان هاينريش كذلك مستشرقاً غربياً، تعلم العربية واللهجات المحلية لسكان شمال إفريقيا من عرب وبربر وغيرهم، حيث " والملاحظ من جهة أخرى إن المستشرقين اعتمدوا على روايات عربية عديدة⁶⁶، وذلك لمعرفة خبايا هذه الأقاليم التي تخبي الكثير من الكنوز، وكذلك فهم عقليات وذهنيات شعوبها.

لقد تناول كذلك شخصيات أكثر امتداد في التراث المحلي الجزائري مثل: عبد الوهاب قرشي، وفاطمة زوجة وحيد، والحمداي في دور المرباط والزيبر والد وحيد، حيث أن الملاحظ لهذه الشخصيات يجد أنّ هناك امتداد أصيل في الثقافة العربية والإسلامية مما يعكس الثراء والتنوع في استعمال الاسماء.

خاتمة:

المنجز الروائي عين حمورابي لصاحبه عبد اللطيف ولد عبد الله اشتمل على عدة مقومات تدل على أن هناك زخم طغى على أغلب فصول الرواية من الآثار والتراث، كما أنني توصلت إلى بعض النقاط يمكن إيجازها فيما يلي:

- التّطرق إلى الوجود الروماني في الجزائر من خلال الآثار المكتشفة في الغرب الجزائري مثل تيارت ووهران والغرب الجزائري عموماً.

- الإحاطة ببعض رحلات المستشرقين الغربيين، خاصة الألماني هاينريش فون مالتسان.

- التّعرف على الوسائل والأدوات والمناهج التي تخص علم الآثار والتّنقيب مثل الرّقم الذّهبي وغيره.

- ربط حقائق تاريخية جمعت بين حضارتي بلاد الرّافدين في العراق والرومان في شمال إفريقيا.

- معرفة بعض أشكال التراث الجزائري وتنوعه مثل: اللباس التقليدي، الوعدة والتبرك بالأضرحة وجل إفرافات الفكر الصوفي.

وفي الأخير يمكن القول أنّ الروائي ساهم في نقل بعض حقائق الآثار والتراث،
منطلقا

من ثوابت تاريخية وحقائق تم الفصل فيها عبر بنود تاريخية، مع سرد محكم وصنع شخصيات ربما من خيال الروائي المرفه، والذي استطاع أن يجسد دور الباحث عن الحقيقة بهال يتسم بالعجائبية تارة وبالأدب الساخر تارة أخرى.

الهوامش:

1. فؤاد أفرام البستاني، منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط8، 48، 2001، ص 04.
2. انطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 06.
3. علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط7، 1991، ص 11.
4. عبد المالك سلاطنية، المصادر التاريخية والأثرية وأهميتها في البحث التاريخي والأثري، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص 64.
5. علي بن هادية وآخرون، المرجع السابق، ص 181.
6. حسن حنفي، التراث والتجديد، نيوبوك للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2018، ص 19.
7. ه. و. ف. ساكز، البابليون، تر: سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 161.
8. عبد اللطيف ولد عبد الله، عين حمورابي، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2020، ص 17.
9. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 18.
10. صبحي شلش، الحفريات وتاريخ العرب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2003، ص 06.
11. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 49.
12. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 2010، ص 124.
13. عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 271.
14. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 66.
15. عبد الرحمان بن خلدون، المرجع السابق، ص 271.

16. انطوان نعمه وآخرون، المرجع السابق، ص 302.
17. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 110.
18. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 111.
19. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 113.
20. انطوان نعمه وآخرون، المرجع السابق، ص 1500.
21. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 110-111.
22. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 138.
23. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 136.
24. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 114.
25. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 109.
26. عبد الله الركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الانجليز، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2009، ص 179.
27. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 138.
28. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 192.
29. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 312.
30. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 313.
31. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 308.
32. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 310.
33. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 312.
34. انطوان نعمه وآخرون، المرجع السابق، ص 878.
35. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 10.
36. يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، بدط، 2001، ص 72.
37. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 4، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 3، 2009، ص 20.
38. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 167.
39. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 11.
40. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 206.
41. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 08.
42. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 23.
43. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 269.
44. علي كبريت، موسوعة التراث الشعبي لتيارت وتسمسيلت ج 2، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2007، ص 161.

45. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 317.
46. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 318.
47. عبد القادر بن سالم، مكونات السرد، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2009، ص 75.
48. عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي، الجزائر، ط1، 2009، ص 143.
49. علي بن هاديه وآخرون، المرجع السابق، ص 54.
50. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 123.
51. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 263.
52. يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص 390.
53. جمال فوغالي، واسيني الأعرج شعرية السرد الروائي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 2007، ص 82.
54. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 63.
55. يوسف وغليسي، المرجع السابق، ص 367.
56. وسيلة بوسيس، بين المنظور والمنثور في شعرية الرواية، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر ط1، 2009، ص 55.
57. ه.و.ف ساكز، المرجع السابق، ص 155.
58. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 138.
59. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 139.
60. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 136.
61. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 63.
62. ه.و.ف ساكز، المرجع السابق، ص 155.
63. عبد المالك سلاطنية، المرجع السابق، ص 313.
64. عبد اللطيف ولد عبد الله، المصدر السابق، ص 67.
65. عبد الله الركيبي، المرجع السابق، ص 183.
66. عبد المالك سلاطنية، المرجع السابق، ص 294.